أحمد صدقي الدجاني: نموذج لمفكر وأديب عربي

Ahmad Sedki Dajani: A Thinker and a Literary Figure

بسمة الدجاني، وفاطمة العمري

Basma Al-Dajani & Fatima Omari

المعهد الدولي لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، الجامعة الأردنية، الأردن

بريد الكتروني: bdajani@hotmail.com

تاريخ التسليم: (٢٠١١/٣/٢٤)، تاريخ القبول: (٢٠١١/٦/٢٦)

مُلخّص:

أحمد صدقي الدجاني مُفكّر وأديب بليغ ذو بيان طوَّع اللغة العربية، فكان نموذجاً جاذباً يُقتضَى تعميمه للذودِ عن العربية الفصيحة. ينهض هذا البحث لدراسة أعمال الأستاذ الدجاني "الأدبية" المُتعددة التي تركها للمكتبة العربية، واستقرائها بغية رسم ملامح هويته "كأديب". فكتابات الدجاني الفكرية والسياسية والتاريخية، وإن كانت تُصاغ بأسلوبٍ رفيع ولُغةٍ بليغة، إلا أن هذا لا يُعطيها صفة الأدب، غير أنه أبدع إنتاجات أدبية صرفة تجعلنا نضعه في صُفوف الأدباء دون مُجاملة. فللدجاني مسرحية لطيفة، وكتاب "رحلات ولحظات مُمتدة" يتعلّق بأدب الخواطر والسفر والسياحة في أرجاء المعمورة. وللدجاني "رسائل إلى ولده " تقف إلى جانب رسائل أحمد أمين إلى أولاده. وللدجاني مُراجعات في مُذكراته " لقاء الكهل بالشاب الذي كانه " وهي عمل أدبي فريد يجمع بين ذاكرته المُتصلة بفن السينما، بالإضافة إلى أنها شيء من السيرة الذاتية. كما أن له مُراجعات أدبية ونقدية لعددٍ غير يسير من الأفلام العالمية والروايات التي يعرضها أو يُعيد النظر فيها بعين الأديب الناقد.

Abstract

Ahmad Sidqi Dajani was a thinker with a mastery of Arabic. He was a unique and an attractive representation that should be followed to defend classical Arabic. This research studies his literary work with a view to shaping his literary identity. His intellectual, political and historical writings do not acquire the status of literature. However, he produced a number of literary masterpieces that place him unequivocally among major literary figures. He wrote a nice play, and the book entitled

"Extended Trips and Moments" which is a book that falls in the category of the literature on travel and tourism. Dajani's book; "Letters to his son," can be compared to Ahmed Amin's messages to his children. His autobiography entitled "The Meeting of the Veteran with the Young Man he once was," is a book that talks about the arts and cinema, and encompasses reviews of films and novels as a literary critic.

حياته

وُلِدَ المُفَكِّر أحمد صدقي بن محمد الطيب الدجاني في يافا في السابع من أيار عام ١٩٣٦م العام الذي شهد ثورة القسام وبداية النضال، فكان مولده فيه علامةً فارقةً حكمت عليه بالمُقاومة طوال عمره النبيل، إذ قضَى حياته مُناضلاً سواءٌ أكان ذلك على مُستوَى الأعمال الطلابية، ولجان العمل والمُنتديات الصغيرة أم كان على مُستوَى المجالس الوطنية والمركزية التي شارك في أعمالها.

تلقَّى الدجاني تعليمه الابتدائي في مدرستي النهضة الإسلامية والمدرسة العامرية بيافا حتى عام ١٩٤٨م ثم انتقل بعدها إلى اللاذقية بسوريا ليتلقَّى تعليمه المدرسي المُتوسط ويحصل على شهادة الثانوية التي أهلته لنيل الإجازة في الآداب من قسم التاريخ في جامعة دمشق بسوريا التي غادرها إلى مصر ليحصل فيها على درجة الماجستير في التاريخ من جامعة القاهرة، ثم الدكتوراه من الجامعة نفسها عام ١٩٧٠م[1].

هذه المُثابرة على التحصيل العلمي لم تقف بين الدجاني والمُشاركة في الحياة الاجتماعية والسياسية والأكاديمية؛ إذ عمل الدجاني مُدرِّساً في مدارس إعدادية وثانوية ومعاهد مُعلمين في سوريا ولبنان، وعمل في التدريس الجامعي في معهد البُحوث والدراسات العربية بالقاهرة، وكُلية التربية بجامعة طرابلس الغرب، وكُلية الإعلام بالجامعة اللبنانية، بالإضافة إلى مُشاركته في تأسيس لجنة العمل الفلسطيني بطرابلس الغرب، وإسهامه في نشاطات مُنظمة التحرير ونشاطات العمل العربي المُشترك، وفي الحوار العربي الأوروبي الشمالي، والحوار العربي اللاتيني. كما أنه كان عضواً نشيطاً في المؤتمر الفلسطيني التأسيسي والمجلس الوطني والمجلس المركزي، والصندوق القومي، واللجنة التنفيذية، وكان عضواً في الوفد الفلسطيني للأمم المُتحدة بين عامي ١٩٧٧م و١٩٨٤م، وعضواً مؤسساً في المؤتمر القومي العربي.

كما أنه شغل منصب مدير عام دائرة التنظيم الشعبي والشباب، ومسؤول الحوار العربي الأوروبي بين عامي ١٩٧٥م و١٩٨٥م، ورئيس المجلس الأعلى للتربية والثقافة والعلوم، والرئيس المُشارك العربي للجنة الثقافة والعمل والشؤون الاجتماعية في الحوار العربي

(1) www.arabthinker.org.

الأوروبي بين عامي ١٩٧٥م و١٩٨٩م، ونائب رئيس المُنظمة العربية لحقوق الإنسان، والمُنسق العام الأول للمؤتمر القومي الإسلامي بين عامي ١٩٩٤م و١٩٩٧م[١].

غير أن هذا النشاط الاجتماعي السياسي الأكاديمي كله لم يَحُل دون تشكُّل الملامح المُميزة لشخصية الأكاديمي الباحث، والسياسي المُثقّف، والاجتماعي المَرن التي أفرزت باجتماعها شخصية مُفَكِّر مُثَقَّف مُتميزة بأبعادها النضالية والعُروبية والإسلامية. ونعني بتلك الملامح المُميزة الشخصية الإبداعية المُنتجة على الصعيد الفكري والأكاديمي والثقافي والحضاري ثم الأدبي على حدٍّ سواء، ذلك أنّ الدجاني مؤلّفٌ مُتخصِّص، وكاتبٌ مُبدع، وأديبٌ رقيق رَفَدَ المكتبة العربية بأكثر من خمسين كتاباً في التاريخ والفكر السياسي، والدراسات المُستقبلية والتاريخية، والتأملات التي يمكن أن نُسميها سيرة ذاتية، ومسرحية، ورسائل إلى ولده بل أولاده، وعدد من الأبحاث والدراسات في التاريخ والعُلوم الإنسانية في الصحف والمجلات، ومُداخلات مُتعددة في المُنتديات والمؤتمرات التي شارك فيها.

عاش الدجاني حياته الحافلة مسكوناً بهُموم المُثقّف والمُناضل التي رافقته في كل مكان فكانت واحداً من أفراد أسرته التي ضمَّت حرمه الفاضلة سنا الدجاني وأربعة من الأولاد هم مزنة والطيب وبسمة ومهدي وعشرة من الأحفاد والأسباط عاشوا في كنفه ورافقوا رحلته إلى جوار ربه في التاسع والعشرين من كانون الأول عام ٢٠٠٣م رحمه الله.

مؤلفاته

- زلزلة في العولمة وسعي نحو العالمية.
- القدس وانتفاضة الأقصى وحرب العولمة
  ٢٠٠١ انتفاضة الأقصى وتفجر الحل العنصري في فلسطين
- الخطر يتهدد بيت المقدس
  ٢٠٠٠ عرب ومسلمون وعولمة
- بُني الحبيب سلام
- مُسلمون ومسيحيون في الحضارة العربية الإسلامية
- لقاء الكهل بالشاب الذي كانه
  ١٩٩٩ أزمة الحل العنصري لفلسطين وسبيل تحريرها
- ١٩٩٨ تفاعلات حضارية وأفكار للنهوض

(1) www.arabthinker.org.

- تجديد الفكر استجابة لتحديات العصر
١٩٩٤ لا للحل العنصري في فلسطين ـ شهادة على مدريد وأوسلو
- في مُواجهة نظام الشرق الأوسط
- عُمران لا طُغيان
١٩٩٣ الحوار العربي الأوروبي ـ النشأة والمسار
- عن المُستقبل برؤية مؤمنة مُسلمة
- الانتفاضة وزلزال الخليج
١٩٩٠ وحدة التنوع وحضارة عربية إسلامية
- في الطريق إلى حطين والقدس
- الانتفاضة وإدارة الصراع
١٩٨٩ مدرسة عربية في علم السياسة
- الانتفاضة والتحرير
- مُستقبل الصراع العربي الصهيوني
١٩٨٨ الانتفاضة الفلسطينية والصحوة العربية
- نظرات في قضايا معاصرة
- العلاقات العربية الأوروبية
١٩٨٦ وثائق الحوار العربي والأوروبي
- عن شعب فلسطين العربي
- بداية الصحوة العربية في مواجهة الغزو الصهيوني
١٩٨٥ فكر وفعل
- حوار ومُطارحات
- نحو استراتيجية عربية للمُواجهة
١٩٨٤ صبرا وشاتيلا
- رؤى مستقبلية عربية للثمانينيات
- ١٩٨١ عُروبة وإسلام ومُعاصرة
١٩٨٠ مُنظمة التحرير الفلسطينية والحوار العربي الأوروبي

- الصراع العربي الإسرائيلي ومسيرة الشعب الفلسطيني في الثمانينيات
- رحلات ولحظات مُمتدة
  ١٩٧٩ العرب في مُواجهة عالم متغير
- نظرات في تاريخ فلسطين ـ نشر فصولا
- الفلسطينيون في الوطن العربي ـ مشاركة في الإشراف
  ١٩٧٦ وثائق من تاريخ ليبيا ـ الوثائق العثمانية
- بداية اليقظة العربية الحديثة في ليبيا ـ وثائق
- العرب وتحديات المُستقبل
  ١٩٧٦ السنوسية: نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر
- ١٩٧٦ الحوار العربي الأوروبي ـ وجهة نظر عربية
- ماذا بعد حرب رمضان
  ١٩٧٣ عبد الناصر والثورة العربية
- هذه الليلة الطويلة ـ مسرحية
- عبد الحميد الثاني في التاريخ ـ نشر فصولاً
  ١٩٧٠ ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي
- من المُقاومة إلى الثورة الشعبية في فلسطين
- أحاديث عن تاريخ ليبيا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

لاشك أن هُوية المُفكّر مرهونة بملامحها التي يرسمها هو دون سواه، وأشدُّ ما يجعل من الدجاني مُفَكّراً ذا ملامح خاصّة التزامه بمفهومٍ وَضَعَهُ وحدودٍ رسمها لمفهوم الفكر؛ فهو يرَى أن الفكر إعمال النظر في شيء. وأنه يطرح أفكاراً من خلال التفكُّر في الأمور، وهو التأمل الذي يعتمد على التفكير [1].

والدجاني مُلتزم بهذا المفهوم إلى حدٍّ بعيد فعلاً، ذلك أنه يُعْمِلُ نظره في كل قضية يطرحها مُتفكراً مُتأملاً مُفكّراً. فيطرح أفكاراً كثيرة يُدرك مُتلقيها تمام الإدراك أنها نتيجة تأمُّل وتدبُّر. ذلك أن رجلاً كتب في السنوسية ونشأتها ونُموها، وفي تاريخ ليبيا، وفي المُقاومة الشعبية، والاحتلال الإيطالي لليبيا، وفي عبد الحميد الثاني، وعبد الناصر، والحوار العربي الأوروبي، والصراع العربي الإسرائيلي، وصبرا وشاتيلا، وقدَّم نظرات في تاريخ فلسطين، ورُؤى مُستقبلية للثمانينيات، ومجموعات من وثائق الحوار، والوثائق التاريخية، وغيرها الكثير لابُدَّ أن يكون

(١) (الدجاني، تجديد الفكر استجابة لتحديات العصر، ص ١٨).

مُفَكّراً من طراز خاص، يجعل من إمكانياته الثقافية كُتباً بين يدي القُراء، وحديثاً شائقاً مُنمّقاً فصيحاً ينطلق على لسانه.

فهُموم المُفكّر المُثقّف تُسيطر على الدجاني أينما ذهب، ولكنها هُموم مُرتبطة بالطموحات الكبيرة [١] التي تُقدم له حوافز مُتعددة من أجل المُثابرة في الوصول إلى علاقة راقية مِثالية تربط المُفكّر بمُجتمعه وحضارته. لذا نجد الدجاني مُصِرّاً دائماً على أن يؤكد دور المُثقفين والمُفكرين عملياً من خلال مشروعه الثقافي العام الذي قدَّمه في مُجمل إنتاجه الذي وَسَمَه بالمُفكّر المَوسوعي. فللدجاني مُطارحات في الفكر الثقافي، والفكر السياسي، والفكر الاجتماعي، والفكر الديني قدَّمها كُلها في سياقات مُتعددة ضمن إطارٍ واحد ربط هذا التنوع بخيط متين من صدق المسعَى وشُمولية الرؤية. "فبهذا المعنَى لا تدري من أين تبدأ بتعريف أحمد صدقي الدجاني، أتُعرفه بسيرته الغنية الجامعة بين الفكر والنضال، بين الالتزام والحوار، بين الصلابة والمُرونة، بين التشدد في الثوابت والدماثة في العلاقات بين مشرق الوطن ومغربه، أم تُعرفه بكُتبه المُتعددة وقد بلغ عددها العشرات، وفيها إطلالات وإضاءات في فلسطين العُروبة والإسلام، في الفكر والسياسة، في التاريخ العام والسيرة الذاتية. أم تُعرفه من خلال المُؤسسات التي ساهم في تأسيسها لتشمل العديد من مجالات العمل الفلسطيني والعربي والإسلامي والعالمي، والتي تولّى مسؤوليات بارزة فيها" [٢].

والدجاني المُفكّر العربي العروبي القومي الإسلامي يُقَدِّم مشروعه مُستلهماً التاريخ الذي له أن يتحدث فيه بوحيٍ من تخصصه الأكاديمي الذي تميَّز فيه، فأهَّلَه ليكون عضواً في مجمع الخالدين. ثم ليستشرف المُستقبل الحافل بالأحداث لأنه قارئ مُميز وعضو نشط في عدد كبير من المُنظمات والمُؤتمرات والهيئات جعلت منه ناطقاً مُبيناً وصاحب رأي قُرِّر، فيما بعد، أن يحتجّ على اتفاق (أوسلو) بالخُروج من المُنظمة. وهو الأمر الذي يجعل من الدجاني قادراً دون شك على أن يستشرف المُستقبل بدقة، ويكتب في شؤون العرب والمُسلمين والعولمة، وفي الواقع الثقافي وثقافة الديمقراطية، وقضايا السلم العالمي، وحوارات الأديان، ومسائل المُقاومة والصمود [٣]. كل هذا وغيره يكشف عن معدنه الإنساني النبيل، وهمه القومي العميق، وتوجهاته النضالية في مراحل حياته كلها، وفي كتاباته جميعها[٤].

إن هذا الفكر الشامل، والثقافة الواسعة لا تقف بصاحبها عند حدٍّ أبداً، إذ لا يتَّسع وعاءٌ لِفِكرٍ يُرْفَدُ دائماً ويُعَزَّزُ بالخبرات واللقاءات، فلا بُدَّ له من أن يفيض فينتج تَمَثُّلاتٍ أُخرَى تجلَّت عنده بالإبداع الأدبي؛ إذ رَفَدَ المكتبة العربية علاوةً على ما سبق بمسرحية **"هذه الليلة الطويلة"** وكتاب **"رحلات ولحظات مُمتدة"** وكتاب **"لقاء الكهل بالشاب الذي كانه"** وكتاب **"بُني الحبيب**

---

(١) (المصدر نفسه، ص ٦٥).
(٢) (بشور، معن، كتاب حبيبنا سلام في رثاء أبي الطيب، ص١٨٧).
(٣) (راجع على سبيل المثال: الدجاني، أحمد صدقي، عرب ومسلمون وعولمة. وزلزلة في العولمة وسعي نحو العالمية).
(٤) (شوشة، فاروق، ، حبيبنا سلام في رثاء أبي الطيب، ص ١٣٣).

.. سلام" وهي مجموعة من الإنتاجات الأدبية الرفيعة على صعيدي المضمون واللغة من شأنها أن تُضيف إلى الدجاني بُعداً آخر فتجعل منه مُفكّراً مُثقفاً أديباً، فتؤهله ليُوضع بين صُفوف الأدباء المُفكرين بوصفه مُفكّراً أولاً ثم أديباً ثانياً. **وإن كانت هذه الدراسة تُركز على الجانب الإبداعي الأدبي من مُؤلفات هذا المُفكر المُتميز بلغته وأسلوبه وعِلمه بدراسة النماذج الأربعة التي ذُكرت وتحليلها، إلا أنها ستقدم شيئاً عن إنجازه الأوسع، وستُبرز الناحية الأدبية في مؤلفاته الفكرية الثقافية العامة.** "إنه رجل يُحبه العلماء والباحثون لأنه عالم بحاثة يحترم نفسه وقراءه بفكرٍ يجعله العالِم الذي يعيش في عصره، ويُحبه الأدباء لأنه أديب، يكتب بأسلوب الأديب، وبيان الأديب، ولُغة الأديب، ويُحبه العروبيون لأنه عربي مُخلص، يعتز بعروبيته وبقومه وبلغته فلا يتكلم إلا بالعربية الفُصحَى" [(١)].

١. **هذه الليلة الطويلة**

تَجَسَّد التفاعل بين شخصية الدجاني مُفكراً وأديباً بوضوح في مسرحيته **"هذه الليلة الطويلة"**، فقد وصف مكانها بين أعماله الأُخرَى قائلاً: "في رحلة الكتابة كنت أستشعر دائماً حاجتي إلى الكتابة الأدبية الوجدانية وسط انشغالي بالكتابة التاريخية، والمُستقبلية، والكتابة السياسية.. وكانت لي مُحاولة في كتابة مسرحية سياسية إثر نكسة ١٩٦٧م، ولعل أهم ما حققته بالنسبة لي أنها ساعدتني على أن أُحقق التوازن لنفسي بعد تلك الهزة العنيفة التي أُصبنا بها"[(٢)]. فقد حفلت مسرحية **"هذه الليلة الطويلة"** بالأفكار والخواطر والتأملات التي عَبَّرت عن نظرات كاتبها وفلسفته في الحياة. وكانت هذه المسرحية قد نُشرت على حلقات في مجلة الكواكب التي كان يتولَّى الناقد الأديب رجاء النقاش رئاسة تحريرها، وذلك في النصف الأول من عام ١٩٦٨. ثم نشرها مؤلفها في كتاب وقال في مُقدمته: "هذه مسرحية تُناقش بعض قضايا معركة المصير التي نخوضها، باشرتُ كتابتها في مطلع عام ١٩٦٨، بعد مُضي سبعة شهور على هزيمتنا في حزيران، وفرغتُ من الكتابة في حزيران ١٩٦٨".

ثم قال الدجاني في مُقدمته للطبعة الثانية منها عام ١٩٩٢: إنني رأيت أن المسرحية عمل فني فكري يتضمن جوانب أخرَى تتفاعل مع الزمن إيجابياً، فعلى الرغم مما شهدته - السنوات الخمس والعشرون بين الطبعتين الأولى والثانية- من أحداث كثيرة، وبجانب التطور الذي حدث في رؤية المؤلف، إلا أن هذا التطور بقي محكوماً بثوابت لم تتغير".

يُجْمِعُ كثير من دارسي الأدب ونُقاده على أن للمسرح مكانة خاصة بين فنون الأدب باعتباره من أرقى الفنون في عملية التربية الشعبية. فصحيح أن الفنون عامة تُساعد على صقل أذواق الناس، إلا أن المسرح بشكل خاص يزيد في تهيئة المجال للحوار والبناء الفكري العميق وإثارة الرأي. وتذكر كُتب الأدب ما أشار إليه أرسطو عندما تحدث عن نظريته (التطهير) التي أبدَى فيها دور المأساة في تطهير القلوب من الأمراض النفسية حيث كان اليونانيون القدماء

---

(١) (القرضاوي، يوسف، حبيبنا سلام في رثاء أبي الطيب، ص ١٧٧).
(٢) (الحوار أجراه معه الأستاذ عبد القادر ياسين، مقدمة الطبعة الثانية لمسرحية هذه الليلة الطويلة، ص ٧).

يرون المسرح مؤسسة ثقافية لخدمة الوطن والشعب، مثله مثل الجامعة والمدرسة والمعبد، وليس مُجرد مكان لهو أو عبث؛ فقد أشاع المسرح الاستعداد لتقبل الفن والتأثر به، فكان أداة تشكيل للوعي الشعبي وتغيير لها (١).

فقد انضمت مسرحية **"هذه الليلة الطويلة"** لمجموعة المسرحيات التاريخية السياسية التي تُعالج مَوضوعاً من واقع الحياة كان له الصدَى الكبير في نُفوس الشعوب العربية. ومما كتبه النقاد عنها إثر نشرها: أنها تناوُل جديد للتاريخ، لأن من يقرأ المسرحية ويغوص بين سُطورها سيصل مع انتهاء قراءة آخر صفحاتها إلى الإلمام بالقضية الفلسطينية دون تقريرية، ودون سرد تاريخي مُمل.. ويرجع ذلك إلى تخصص كاتبها، وإحاطته الشاملة بجوانب القضية التي عَبَّر عنها هذا العمل الفني.

"إننا أمام عمل إبداعي يستحق منا الجهد المُميز لإبرازه وتقديمه في صورته المُثلى. فهذه المسرحية تتضمن كل العناصر والمبادئ الأساسية للعمل الدرامي من وحدة المكان والزمان والإيهام والشخصيات والصراع ... ولكنها، وقبل كل شيء، تُعالج قضيةً سياسية وفكرية تُمثل جوهر قضايانا العربية بل والإسلامية، إنها قضية فلسطين"(٢). وهو الأمر الذي يؤكد التزام الدجاني بمفهومه الخاص لمعنَى المُفكّر، الذي يجعله يعود دائماً نحو هَمِّه الأهم المُتمثل بقضايا الأمة وعلى رأسها القضية الفلسطينية.

كما فسَّر نقاد آخرون سبب اختيار المؤلف الإطار المسرحي لطرح أفكاره: "إن تعقيدات القضية ورُوح العصر والحُروب المُتتالية التي خاضها العرب بكل ظلالها ونتائجها عملت على أن يتجاوز الكُتّابُ القوالب التقليدية التي كانت تسمح في رأي الكثيرين بالمُباشرة والصراخ الأجوف والحماس المُصطنع إلى القصة والرواية والمسرحية، كما فعل الدجاني في **"هذه الليلة الطويلة"** (٣).

تميزت لغة الحوار والسرد في المسرحية بوضوحها وسلاستها، وهي من أكثر ما اشتهر به مؤلف المسرحية فكان مفكراً يحسن اختيار كلماته ويعرض أفكاره بأسلوب أدبي بين ورائق، "إذا كان أسلوب الرجل هو الرجل نفسه، فلقد كان أسلوب الدجاني صادقاً في تناول هذا العمل الفني وصادقاً مع نفسه، ومع وطنه، ومع قضية العرب الأولى ... قضية التحرير والوحدة. فالمُباشرة هي الأسلوب في هذا العمل المسرحي حيث جاءت الجمل القصيرة مُتناسقة تمنح القارئ شُعوراً بالقُوة والوضوح" (٤).

---

(١) (للمزيد انظر: سهير القلماوي، فن الأدب- المحاكاة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٣، ص ٤٨-٦٢).
(٢) (الناشر: مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر، ١٩٩٣، القاهرة).
(٣) (وحيد، علاء الدين، مجلة الكواكب، مسرحية فلسطينية، ص٤٤).
(٤) (أبو كف، أحمد، "كتاب جديد"، مجلة المصور، العدد ٢٥٠٤ أكتوبر ١٩٧٢، القاهرة، ص٣٩).

تجري أحداث هذه المسرحية على مدَى ليلة طويلة من الغسق مُروراً بمُنتصف الليل حتَّى الفجر. وهي تقع في منزل أسرة فلسطينية بمنطقة القدس وتضم أربعة أبطال يُمثلون أجيالاً أربعة وهم: الفتَى يحيى الذي وُلِدَ إثر نكبة فلسطين عام ١٩٤٨، وأمه زينب الشابة التي تقترب من الكُهولة، وأبوه حسن الذي يكبرها بجيل، وجده لأبيه علي الشيخ الطاعن في السن. ومن خلال التعامل الجاري بينهم يعيش القارئ نبض تاريخ مأساة فلسطين في بداياتها منذ أن نضج الجد إبان الحرب العالمية الأولى إلى معايشته لنكسة حزيران عام ١٩٦٧، وابتلاء الحفيد الشاب بنتائجها الصعبة. وقد عالجت المسرحية موضوعها مُعتمدة على الوحدات الثلاث من مكان وزمان وحدث. فهي مُحاولة جادة لموضوع جاد، وتتميز بالتشويق. وما تزال القضايا التي عرض لها هذا العمل الأدبي الفكري مطروحة، مما يؤكد أهمية المسرح السياسي في حفظ الوثائق التاريخية عن المراحل والأحداث التي يتناولها(١).

والمسرحية غنية بالأفكار المُتنوعة، ونجحت في إبراز الصراع من خلالها على عدة صُعد. فهناك صراع بين العدو وبين الشعب العربي، وآخر داخل الأمة الواحدة، وثالث بين الأجيال في الأمة الواحدة. ومما يلفت النظر عُمق الشخصيات فهي رُموز لها أغوارها، فزينب هي الأرض العربية وأحياناً الشعب العربي، وأحياناً أُخرَى فلسطين. أما حسن فهو جيل المُحافظين المُعتدلين الذين حاولوا أن يتفاعلوا مع واقعهم بصراحة. ويأتي الجد بكل روعته ليُمثل التاريخ أو القوة العُليا فهو لا يتحدث إلا من جوامع الكلم أو من آيات الذكر الحكيم، فهو الحاضر والمستقبل. وأخيراً يحيى البطل الذي مثَّل رُموزاً عدة، فهو تارة حركة التحرير العربية، وهو الثورة بكل قوتها، ونُضوجها بكل مآسيها. ومما يلفت النظر حرص المؤلف على أن يغيب يحيى في الفصل الثالث، وهنا أعطاه رمز قائد الثورة الذي رحل بعد أن شقَّ طريق الثورة، ليُتابع بعده مجموعة الشبان الفدائيين الذين هم نتاج جهد الأمة العربية وكفاحها. وكأن المؤلف تشوَّف المُستقبل الذي سيشهد هذا الرحيل(٢). ونجح الدجاني في هذا العمل الفني بصفحاته المئة والستين بشد قرائه ليعيشوا معه أحداث هذه الليلة الطويلة. وأبدع بتقديم رؤيته الأيديولوجية وتوصيل أفكاره العميقة من منظور أدبي مُمتع وبشكل فني مُتكامل. ذلك أن هويته الحضارية واضحة لديه،" فموضوع الهوية الحضارية بثوابتها يُنهي أي تناقض مُصطنع بين دوائر الانتماء، ويوفر نظرة موضوعية للواقع القائم تأخذ جميع حقائقه في اعتبارها"(٣). هذا ماوفَّر للمؤلف تلك النظرة الواقعية التي أفرزت هذا العمل المسرحي الهادف.

٢. **رحلات ولحظات مُمتدة** (سيرة ذاتية).

ثم تجسَّد التفاعل بين شخصية الدجاني الأديب والمُفكر السياسي في كتابه "**رحلات ولحظات مُمتدة**"، ليُقدم فيه شكلاً مُميزاً من أشكال السيرة الذاتية الأدبية، حيث خص كتابه هذا بمجموعة من الخواطر التي سجلها في رحلات عمله. ولأنه من أولئك الحريصين على مُلازمة القلم

(١) (الدجاني، مزنة، ١٩٨٦، قراءة منهجية في مسرحية الدجاني).
(٢) (المصدر السابق).
(٣) (الدجاني، عمران لاطغيان، ص ١٥).

والورقة والتعبير في كل مُناسبة، فقد جمع ما يتناسب من موضوعات مُتصلة بحياته العملية التي انعكست على حياته الشخصية وأخرجها في قالب أدبي قصصي مُمتع. إذ قصَّ الدجاني على قرائه في صفحات الكتاب المئتين والأربعين قصصاً مُتنوعة نابعة من تخصصه في التاريخ، ومن عمله السياسي، ومن علاقته بالقُصحَى وارتباطه بها. وقد ضمَّت صفحات الكتاب ثلاثة وثلاثين عنواناً لفُصول قصيرة مثَّلت الخواطر المُعبِّرة عن أحداث بعينها تركت آثارها على كاتبها.

وقد اختار الدجاني – صراحة – أن يكون انتقائياً في سرده الجميل لسيرته الذاتية، فقد ابتعد عن الرصد العشوائي للأحداث، وانتخب أن يكون اختياره قائماً على جامع تعدُّد المكان واختلافه، فتراوحت محطاته بين الشرق والغرب، كما أنها تنوعت بين المكان الحقيقي الذي يُمثل موقعاً جغرافياً، والمكان الآخر ذي الأبعاد المُمتدة حضارياً. فنراه يطوف بالقارئ في القدس والخرطوم ونيويورك والكويت وغيرها، كما يطوف به في المُستقبل والعلم والمعرفة والصداقة والتجربة.

وبعد اطلاع القارئ وتجواله مع الكاتب في رحلاته وزياراته لأماكن عديدة شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً يشعر كأنه رأى تلك المُدن التي وردت فيها الحكايات مثل روما وسمرقند والخرطوم ونيويورك ومكة المُكرمة والمدينة المُنورة. فالدجاني يستطرد في وصف المكان وجمالياته وتسجيل أهم ما شاهده فيه وعرف عنه. ومن ذلك قوله: "على عادتي حرصت على أن أكتشف المدينة الكبيرة بنفسي، وأن أتحرر من قيود المواصلات الرسمية وبدأت بقلب المدينة وما أسرع ما تعرفت إلى منطقة الفندق في وسط جزيرة مانهاتن. وفندق بلازا الذي ننزل فيه يتميَّز بموقعه المُطل على الشارع الخامس وعلى الحديقة المركزية، كما يتميَّز بطراز بنائه القديم"(١). والحق أن الدجاني يُوظِّف عدداً من تقنيات السرد التي من شأنها أن تُضيف قيمة نوعية للعمل الأدبي، فهو يُوظِّف الاسترجاع على نحو ذكي يطرد الرتابة عن العمل، ويُبقيه نامياً في ذهن المُتلقي، ومن ذلك قوله في خِتام إحدَى الرحلات: "وقفت أتقبل تحيات العديد من الأعضاء وتهانيهم وتمنياتهم واسترجعت شريط أحداث هذا المجلس، والصدَى الذي لاقاه حديثي في المُناقشة العامة. وكنت قد عكفت ساعات طوال قبل انعقاده على إعداد تصور للمرحلة الراهنة من نضالنا. وتداعَى إلى خاطري يوم شاركت في اللجنة التنفيذية لأول مرة قبل أكثر من عشر سنوات، ويوم شاركت في المؤتمر التأسيسي لمُنظمة التحرير الفلسطينية قبل ذلك بعامين. وخطر على بالي أنّ الرحلة طويلة، وأنها ستصل بنا إلى تحرير وطننا، وأنني الآن أقدر على القيام بواجبي...." (٢).

والدجاني في هذه السيرة يُراوح في تقديم الأحداث فتارة يُركز على الأحداث الكبريات والمهمات التي تُضيف بُعداً تاريخياً، وتسرد قصة الحدث التي أراد لها أن تبقَى ومن ذلك قوله: "ما أودّ تسجيله في هذه الخاطرة هو فكرة ألحَّت عليّ من وَحي زيارتي لسمرقند. الفكرة هي أن

(١) (الدجاني، رحلات ولحظات ممتدة، ص ١٧٤).
(٢) (السابق، ص ١٥٣).

الوحدة الحضارية هي المقياس الأفضل والأصح لتقسيم الشعوب والمجتمعات في عالمنا"[١]. وطوراً يركز على أحداث يومية عابرة قد لا تُضيف قيمة فكرية أو بُعداً ثقافياً للنص، لكنها تُضيف روحاً أدبية تجعل من التفاصيل دافعاً قوياً لعجلة السرد يكشف عن الانتقال ويُعطي انطباعاً صادقاً بالعفوية المُحَبَّبة، كقوله: "أنا الآن في غرفتي بالفندق تناولت فطوري قبل قليل في قاعة الطعام وعدت أجلس إليك".

كما أنه يبتعد في كثيرٍ من الأحيان عن السرد الرتيب الذي يجعل من الكاتب مُرسلاً أوحد ويُكَبِّل المُتلقي بالاستقبال القسري؛ إذ يخرج من عباءة السارد إلى سِحر المُحاور فيتحدث إلى المُتلقي مُباشرة حتى يُخيل إليه أنه معه في المكان نفسه يُشاركه الفعل والحدث، ومن هذا قوله مُخاطباً المُتلقي مُباشرة: "هل أكرر لك الحديث عن مُعاناة الكتابة، لقد سمعته مني مرات" [٢].

وأبدع في هذا الكتاب بوصفه للعلاقات الإنسانية. فللتعارف البشري أهمية كُبرَى في حياة الدجاني اشتهر به، وكانت له نظرته الفلسفية الخاصة فيه. فكما قال في كتابه هذا: "أرجو أن يتسع وقتي لعرض هذه الصور في كتاب تنطلق فكرته من أن الإنسان يُقبل على التعارف إذا تُرك على سجيته، وأن التربية التي يتلقاها هي التي تضع حواجز بينه وبين الآخرين، وفي الأسفار تسقط هذه الحواجز، ويعود المرء إلى سجيته فيكشف خبيئة نفسه لإنسان آخر يبثه بدوره شُجونه ويُحدثه حديث النجوَى. وقد يفترقان ولم يعرف أحدهما اسم صاحبه، ولكن كلا منهما يكون قد عرف الكثير عن الآخر"[٣]. فأتَى بقصص حدثت معه في رحلاته، في أثناء عمله، وفي تجواله، وتمثّلت روعتها بدقة روايته للمواقف وتجسيدها للقارئ في قالب فني شائق ولغة سلسة، ولكونها موضوعات تمس العامة والخاصة، ولكن الأديب فقط هو من يُحسن نقلها وتصويرها فنياً. ففي هذا الكتاب تجلّت مَوهبته الأدبية في إخضاع اللغة.

إن الدجاني من أولئك الموهوبين الذين يُتقنون التعامل مع الحدث بأشكاله المُختلفة، وكان ـ رحمه الله- يُحسن التعبير عن الحدث بأسلوب أدبي فريد. لذلك استفتح كتابه "**رحلات ولحظات مُمتدة**" بتعريفه الخاص لمدلول "اللحظة المُمتدة" قائلا: "اللحظة المُمتدة عندي هي لحظة تمتد طولاً وعرضاً وعُمقاً، فإذا بالحياة خلالها طويلة عريضة عميقة ... هي لحظة تألق تُضيء فيها النفس ... يتناغم الإنسان خلالها مع ما حوله ومن حوله"[٤]. كما يعكس تعريفه تقديمه لنفسه أمام قارئه، وسهولة التواصل بينهما بكلمات دالة ومُوحية. ليستشعر القارئ مُنذ اللحظات الأولى والسطور الاستفتاحية في المُقدمة أنه مع كاتب أديب مُتأمل ومؤمن بوجوده، ويُقدِّر قيمة كل لحظة في حياته. فمما جاء كذلك في تعريف المؤلف للحظة في بداية المُقدمة: "هي لحظة تدبر في الوجود والواجد والموجود، وهي لحظة عطاء وشفافية وصفاء، ما عشتها مرة إلا ولهجت بالثناء على خالق الحياة والدعاء له: رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي

---

(١) (السابق، ص ٩٧).
(٢) (الدجاني، رحلات ولحظات ممتدة، ص ١٣٩).
(٣) (السابق، ص ١٨٥).
(٤) (الدجاني، رحلات ولحظات ممتدة، المقدمة ص ٧).

وأن أعمل صالحاً ترضاه، وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين" [١]. ولعل هذا يعكس صدق رؤية الدجاني التي تجعله يتمثل كل ما يُقدمه نظرياً، فيضعه بين يدي المُتلقي أمراً واقعياً مُطبقاً. وتقديراً لقيمة هذه اللحظة المُمتدة، فقد استعارها الشاعر عبد الرحمن يوسف عنواناً لقصيدته الرثائية للدجاني وقال فيها:

جزع ذاك ؟ أم ترى تلك رده ؟ أم مُحب بالفقد يفقد رشده
لو ذرفت البحار بعدك دمعاً لا أُوفيك حق تلك المَودة
كنتَ في ليلنا الطويل كشمس منك كانت أنوارنا مستمدة
فكرك الحر كان مرجع شعب وبدا مثل درعنا في الشدة
نقطة الوصل بين ماض وآت ببحوث أصيلة مستجدة
عمرك اليوم قد بدا لي خلوداً ومضى .. مثل لحظة ممتدة [٢]

إن شخصية الدجاني الفكرية الأدبية برزت للكثيرين ممن عرفوه وممن قرأوا له أعماله المختلفة فميزوا مكانته في عالم الثقافة الواسع. وكان مما وُصِفَ به في رثائه أنه " هو العلم الفلسطيني البارز في سماء الفكر العربي والإنساني، والذي يُشكل بما قدَّمه للعلم والمعرفة في مجالات الفكر الفلسطيني والعربي والإنساني المُعاصر ظاهرةً جديرةً بالدراسة؛ فهو باحث أصيل، ومُحلل مُتروٍّ، ومؤرخ بارع، ومُفكر مُبدع، وسياسي مُحنك، وعالم مُتمكن، وبفقدانه يكون الشعب العربي بصفة عامة قد فقد علماً بارزاً كسب احترام مُعاصريه من عرب وغيرهم، وسيظل يكسب تقدير قُرائه وثناءهم، إذ كان نجماً ساطعاً في سماء الفكر والمعرفة "[٣].

٣. **لقاء الكهل بالشاب الذي كانه** (سيرة ذاتية).

وبعد عقدين من نشر تلك المُقتطفات الأدبية من سيرته الذاتية المُتمثلة في "**رحلات ولحظات مُمتدة**"، نشر المزيد من التأملات والخواطر في سياق رواية ذكرياته في كتاب بعنوان "**لقاء الكهل بالشاب الذي كانه**". وهو كتاب مُتميز رائد بفكرته حيث يُبدع فيه بإدارة اللقاء بين جيلين بينهما الكثير من القضايا المحورية، ويُعالج فيه وصولهما أحياناً إلى طريق مسدود في ذلك الحوار. ولأنه خبير في فن الحوار والوصول إلى نقاط اللقاء بأسلوبه اللطيف وبأدبه الظريف، نجده راغباً بإنقاذ تلك العلاقة التنافسية الأزلية بين الكُهول والشباب. فالحوار عند الدجاني، كما وصفه ابنه مهدي في مقدمته لكتاب رسائل والده إليه، هو قُدس الأقداس ولذة اللذات..فيه تتلاقى العُقول وتتعارف الأرواح، وهو علم قائم بذاته [٤].

---

(١) (السابق، المقدمة).
(٢) (يوسف، عبد الرحمن، القاهرة ٢٠٠٣/١٢/٣١، كتاب حبيبنا سلام، ص ١٦٣).
(٣) (جاء هذا فيما كتبه د. صادق عبد الله أبو سليمان في رثاء الدجاني، حبيبنا سلام ص ١٦٩).
(٤) (الدجاني، مهدي أحمد صدقي، مقدمة كتاب "من رسائل والدي إلي في مرحلة التفتح").

وقد أوضح الدجاني هدفه التربوي من هذا الكتاب بقوله: "إن هذا الموضوع الذي يبدو للبعض جديداً هو موضوع قديم يتجدد جيلاً بعد جيل، ويقع في إطار تدافع الأجيال وتواصلها... وتداعَى إلى خاطري ما جاء في بُردية قديمة على لسان كهل من نقد" لشباب اليوم" يُعدد "أخطاءهم" وينعى عليهم أموراً عدة يفعلونها، وما قابله بالمُقابل شباب ضاقوا بضُغوط مُجتمعاتهم عليهم من أمثال الشنفرى وطرفة وأبطال "ساتاريكون" في روما القديمة وأمثال رامبو وفارلين في الغرب الحديث" [١]. وزاد من إقبال الكاتب في مرحلته تلك من العمر على الخوض في الموضوع مُعاصرته لقضايا أبنائه الشباب الأربعة ومُريديه من الشباب، بالإضافة إلى رغبة جار صديق له مُناقشة قضية "الآباء والأبناء" معاً في جلسات حوارية. فأبدع الدجاني هذا اللون الأدبي بشكل شائق، وبلغة سلسة تجذب القُراء من الشباب والكُهول. وضم في صفحات كتابه المئة قسماً جمع فيه خواطر من يومياته التي سجَّلها في مرحلة شبابه في سبعة دفاتر من صيف عام ١٩٥٨ إلى صيف عام ١٩٦٥، وقسماً لذكرياته عن السينما والتثقيف. وعلَّل ذلك قائلاً: "رأيت أن أجمع القسمين معاً لوجود علاقة وثيقة بينهما في الفكرة والهدف وزمن الكتابة وأسلوبها ومُناسبته "[٢].

والحق أن هذا الكتاب يجمع، بالإضافة إلى قيمته التربوية، قيمة فنية تعكس اهتمام الكاتب بالسينما والنقد السينمائي وتكشف عن "جوانب أخرَى طريفة في فكره ومسلكه الثقافي، من بينها اطلاعه الواسع في السينما والمسرح والمُوسيقى والرواية، وفُضوله العلمي الذي لا حدود له، وطريقته الخاصة المُبتكرة في تربية أبنائه التي تعكس رسائله إليهم التي نشر بعضها ابنه مهدي"[٣]. ويبدو من مُجمل إنتاج الدجاني الفكري والأدبي أن النقد الأدبي جزءٌ مهم من حياته إذ عَوَّدَ أبناءه على مُمارسة فن النقد الأدبي منذ طُفولتهم، فبعد قراءة أي كتاب، ومُشاهدة أي فيلم، وسماع أي أغنية يأخذ الحوار مجراه حول المضمون والمُستوَى والإبداع، وعلى كل فرد تقدير علامة لذاك العمل الفني[٤]. فحقق في تربيته للجيل الصاعد أهدافاً عديدة منها المُشاركة، وضرورة إبداء الرأي، والتمييز بين الغث والسمين، والاستفادة من الوقت بما ينفع ويُمتع. كما كان يُشارك الشباب والأطفال ممن يلتقي بتوجيه أسئلة لهم حول ما يُعجبهم مُشاهدته ومُتابعته فنياً بأسلوبه الراقي في الحوار والاهتمام بمن أمامه باختلاف نوعياتهم البشرية، فيستميلهم ويسعد بتجاوبهم الكبير معه وبسماع آرائهم المُختلفة.

وفي **"لقاء الكهل بالشاب الذي كانه"** يُدرك القارئ موسوعية ثقافة الكاتب السينمائية وحرصه في مراحل عمره المُختلفة على مُتابعة الفن السينمائي العالمي، وأهمية نقده لما يشاهد، وإلمامه بالمعلومات الكاملة للعمل الفني الذي يشاهده. وقد حباه الله بذاكرة تسجيلية دقيقة لفتت أنظار من حوله عندما كان يذكر شخصية مُخرج العمل، ومؤلفه، ومُمثليه، وعام ظهوره، وأبرز ما فيه من حوارات ولقطات. وكثيراً ما كان يستمتع بتمثيل بعض المشاهد مع أبنائه وترديد

(١) (بتصرف، لقاء الكهل بالشاب الذي كانه، ص ٥).
(٢) (الدجاني، ١٩٩٩، لقاء الكهل بالشاب الذي كانه، ص ١).
(٣) (السيد ولد وباه في رثاء الدجاني، كتاب حبيبنا سلام، ص ١٩٦).
(٤) (لقاء خاص مع السيدة سنا الدجاني (أم الطيب) في ٢٠٠٩/٨/٢٧ عمان).

العبارات المؤثرة في هذا العمل أو ذاك[١]. واحتفظ الدجاني بمكتبة سينمائية هائلة ضمَّت روائع الأعمال العالمية. وشهدت ندواته ولقاءاته ومُحاضراته بمُداخلاته الفنية الناقدة، وتقديره لدور الفنون المؤثر على مُختلف الأجيال الإنسانية. كذلك كانت لديه حصيلة غنائية يشهد له بها من رافقه وجلس إليه، فيُضفي على جلسات صالوناته الفكرية لمسات فنية بإعطاء الجانب الموسيقي حقه. مع اهتمامه بالمُشاركة بحضور حفلات الموسيقى العربية، وتقديره للأصوات المُميزة، وتشجيعه للأطفال والشباب على حفظ ما يستحق من التراث ومن الأغاني الحديثة. فقد "سرت في كلامه أيضا روحُ لغةِ بُلغاء الأقدمينَ وبُلغاء المُعاصرينَ الناضرة ... وقد كان دائمَ الإبحارَ في مكتوباتهم الزاخرة. وكم كان يطيب له أن يناول مُحبيه من لؤلؤ التوحيدي ... ومرجان القلقشندي ... وزمردِ ابن خلدون ... وياقوتِ المتنبي وأبي تمام ... وفيروز ومحمود شاكر وصلاح عبد الصبور"[٢]. قدَّم الدجاني في **"لقاء الكهل بالشاب الذي كانه"** حواراً لطيفاً مع أرشيفه الشخصي الذي لم يُهاجمه غبار السنين على ما يبدو، لأنّ صاحبه ظل يحيا به. ولكنّ اللطيف في هذا الكتاب أن الدجاني الكهل قادرٌ على مُحاورة الدجاني الشاب بروح الشابِّ وعقل الكهل، وهو الأمر الذي ينقل إلى قارئه قيماً تربوية عالية تستوعب الهفوات، وتقدر صغر العمر وتواضع التجربة، فهو "يلاحظ أن الشاب لم يكن قد طوّع أسلوبه في التعبير، ويغضُّ النظر عن ذلك، ولكنه حين يمضي في قراءة الحديث يجد أن الشاب قد فرّغ فيه ما اختزنه من عواطف ومشاعر ورغبات"[٣]. و"يبتسم الكهل حين يمضي في القراءة فيجد أن الشاب سرعان ما انتهَى إلى تسجيل أفكاره الذاتية التي توصل إليها في موضوع القومية وفي قضية الوحدة من خلال إمعان الفكر في ضوء ما قرأ"[٤]. والدجاني في كل هذا ساردٌ موضوعي مُستقل عن الكهل والشاب يروي لنا بتجرد كيف يكون اللقاء فيصف ردة فعل الكهل تجاه الشاب تارة كقوله: "يردد الكهل عند هذا الحد: يا لقوة عاطفة المحبة عند الشاب"[٥] ويتتبع خُطَى الكهل تارة أُخرَى كقوله: "ثم يقرأ الكهل"[٦].

٤. **بُنيَّ الحبيب ..سلام** (أدب الرسائل)

قضَى الدجاني حياته مُمسكاً بقلمه، ومُعبراً عن قضاياه الشاغلة على الورق أولاً. فاتخذ من الرسائل وسيلة أساسية في إيصال ما يُريد. "فالكتابة حرفته وهوايته ومُتعته أساساً، فقد كتب في الفكر، والأدب، والتاريخ، والسياسة، والثقافة، والمُستقبل، وعن النفس الإنسانية، وعن العلوم... وكان يرَى أن التواصل من خلال المداد أمر طبيعي ومُحبب للنفس البشرية"[٧]. وهكذا توافرت مع السنين أعداد لا حصر لها من رسائله لمن حوله في المُناسبات كلها وحول الأمور كلها. وهذا

---

(١) (لقاء خاص مع السيدة سنا الدجاني (أم الطيب)).
(٢) (الدجاني، مهدي أحمد صدقي، مقدمة كتاب "بني الحبيب سلام" ص ٢).
(٣) (الدجاني، لقاء الكهل بالشاب الذي كانه، ص ٣٤).
(٤) (المصدر السابق، ص ٢٣).
(٥) (المصدر السابق، ص ٤٣).
(٦) (المصدر السابق، ص ٤٧).
(٧) (المصدر نفسه، ص ٢).

ما دعا ابنه مهدياً أن يقرر جمع بعض ما استلمه من رسائل خاصة تُناقش قضايا عديدة مُهمة ومُمتعة ومُفيدة في كتاب بعنوان: "**بُني الحبيب ..سلام**، من رسائل والدي إلي في مرحلة التفتح". "قلتُ إن أبي كتب هذه الرسائل لعدد من الأغراض .. فبعضها جاء على سبيل التواصل اليومي العادي الذي يتضمن إخطاري ببعض الأمور ...بينما جاء البعض الثاني على سبيل تسجيل مواقف وأحداث تستحق التسجيل ...في حين جاء البعض الثالث لإثارة الفكر في بعض القضايا ...وأحياناً أتت الرسائل على سبيل اللوم والدعوة لمُراجعة النفس ...وأحياناً أخرَى أتت تشجيعاً على عمل محمود يستحق التشجيع... وفي بعض المُناسبات شكلت الرسائل استكمالاً لبعض المُناقشات التي بدأت شفهياً لكن حبل الحوار الشفهي انقطع..فكانت الرسالة استبدالاً لما هو مكتوب بما هو شفهي" (١).

يأتي هذا الكتاب "**بُني الحبيب ..سلام**" مُكملاً لحوار الأجيال الذي برز في كتاب "**القاء الكهل بالشاب الذي كانه**". ففي هذه الرسائل انعكاس طبيعي وتلقائي وواقعي لجل ما يُعرض للعلاقة بين الابن وأبيه، وهذه العلاقة جزء من العلاقات الأخرَى المذكورة في الكتاب التي تجمع الأب بالزوجة والأب بالأخوة الآخرين، فهي جزء من رسائله إلى الأسرة كلها؛ إذ يحتفظ كل فرد من آل الدجاني برسائل خاصة وجهها الراحل الدجاني إليه (٢) غير أن المهدي هو الوحيد الذي نشر الرسائل خاصته.

وكثيراً ما عالج الدجاني برسائله التي تميزت بأسلوبها الأدبي، وبلغتها الرقيقة أصعب المُشكلات بين أطراف استعانوا به حكماً وقاضياً، فكان يكتب لكل طرف مُعبراً عن موقف الطرف الآخر بطريقته التي لابد أن يستجيب لها الطرفان فينقذ ما يمكن إنقاذه. وملفت للنظر كيف كان يجد الوقت ليقوم بهذا الدور المُحبب إلى نفسه وسط انشغالاته التي لا تنتهي في خضم العمل العام، وعضويته في مؤسسات عديدة. فهذه الرسائل تمثل منهجاً تربوياً يستحق تعميمه لتحقيق غاية التواصل بين الآباء والأبناء حيث تساعد بلغتها الجاذبة وأسلوبها الأدبي على تخفيف حدة النقاشات التي كثيراً ما تحدث بين الجيلين فتمتص ساعة الغضب بأن يُعبر الطرف المُرسل عن شُعوره كتابياً ثم يُعاود الطرف المرسل إليه مُراجعة النفس بمعاودة قراءة الرسالة مرة تلو الأخرى ليحاسب النفس ويتجاوب مع ما يجب عليه فعله. كما أنها تسجل أجمل لحظات العمر، وتصبح نافذة على الماضي يغتني بها صاحبها عند حنينه لاسترجاع الذكريات الدقيقة ومعايشتها. وقد حفل الأدب العربي والعالمي في مراحلهما المختلفة بنماذج جميلة تصور العلاقة الأبوية والأسرية المُمتدة اغتنى بها القراء والدارسون على مر العصور.

كما حرص الدجاني على تسجيل رأيه الأدبي النقدي على ما يقرأ وما يُشاهد، فكان من بين ما كتب بحث نقدي عن رواية "شرف" لصنع الله إبراهيم وضمَّنه كتابه "عرب ومسلمون وعولمة"، إذ خصص الفصل الثاني من هذا الكتاب لتحليل رواية (شرف) وبيان أحداثها وتطوراتها، مُستفيداً من مُعالجة صنع الله إبراهيم لقضايا العولمة والثقافة من خلال سرد لحكاية

---

(١) (المصدر السابق. ص ٣).

(٢) (لقاء خاص مع السيدة سنا الدجاني (أم الطيب)).

تدور في السجن، تحفل بكثير من القضايا الفكرية والسياسية التي تُمثل انعكاساً صريحاً لتأثير العولمة. فقد وظّف الدجاني هذه الرواية بما فيها من مُداخلات وإضافات في سياق كتابه نحو اكتمال النظر في تقديم طروحاته في المسألة. وهو استثمار ذكي للأدبي في المجال السياسي، وللمُمتع في السياق الجادّ أكّد من خلالها الدجاني على شمولية رؤيته وانسجامه في كل ما يقرأ ويُقدم مع هدفه العام المُتمثل بالهمّ القومي والحضاري [١].

خاتمة

في هذه الدراسة محاولة لتسليط الضوء على نماذج من أعمال أدبية لمُفكر عربي ذاع صيته مُفكراً وسياسياً وصاحب قلم ولم يُقرأ أدبياً. وتطرقت الدراسة إلى ثلاثة أشكال أدبية هي: المسرحية وأدب السيرة الذاتية وأدب الرسائل ممزوجة بومضات من النقد الفني السينمائي تحديداً. فالدجاني كان ظاهرة أجمع عليها كل من عرفها عن قُرب وعن بُعد، حقق المُعادلة الصعبة بين جدل الفكريّ والأدبيّ بإبداع قل نظيره ترجمه مداداً على الورق، ونطق به عربية فصيحة سليمة جميلة على لسانه في المحافل وفي حياته الخاصة. "كان بحق وسيظل شجرة برتقال يافاوية معطاءة حباً وعلماً ومعرفة وخلقاً ومدرسة ستبقَى أبوابها مفتوحة كرماً، وعُمق تأثير لا يتلاشَى مع تلاشي الزمان" [٢].

واتسم الدجاني في كتاباته التحليلية السياسية والفكرية بالنظرة المُستقبلية. وتميزت دراساته وآراؤه بها حتى صدرت له مجموعة من الكتب التي تحمل عنوان المُستقبل مثل: "العرب وتحديات المُستقبل"، و"رؤى مُستقبلية عربية للثمانينات"، و"مُستقبل الصراع العربي الصهيوني"، و"عن المُستقبل برؤية مؤمنة مُسلمة". وكان الدجاني يتحدث عن المُستقبل من دراساته التاريخية، وتعمقه في تحليل الأوضاع المُعاصرة له بمنطق بين، ليصل مع القراء إلى درجة الإقناع اليسير والوضوح في الرؤية. وهذا أمر من الطبيعي أن يصدر عن مُفكّر مثله ظلت مُواكبة العصر وقراءة تطوراته شغله الشاغل فجعلته "فارساً مُميزاً للفكر المُستنير، والموضوعية في تناول مُشكلات الأمة، والرؤية الثاقبة المُستشرقة لمُستقبل مُشرق لأجيالنا القادمة. لقد عاش الدجاني حياته من أجل وطنه الكبير وأمته، وستظل مآثره وآثاره شاهداً على إخلاصه وتفانيه وبُعد نظره"[٣]. فقد "كان الدجاني حاضراً في كل أوجه العمل السياسي العربي فهو المُفكّر، والإعلامي، والأديب، والباحث، والمُحاور، والمُناضل. وَهَبَ حياته لأهداف كُبرَى فكان إنتاجه الفكري الغزير تأصيلاً وتنظيراً لهذه الأحلام الكُبرَى"[٤].

(١) (الدجاني،عرب ومسلمون وعولمة، ص ٤٩ – ٦٣).
(٢) (من كلمة رثاء شرورو، فضل، مشرف عام إذاعة القدس/ في ٢٠٠٤/١/٢، كتاب الرثاء ص ١٢٧).
(٣) (من كلمة رثاء سمو الأمير حمزة بن الحسين الرئيس الأعلى لمؤسسة آل البيت للفكر الإسلامي للدجاني).
(٤) (من مداخلة فتحي بالحاج في ندوة "الدجاني المفكر والمقاوم" في أربعينية الدجاني التي نظمها المنتدى الثقافي العربي بفرنسا في كانون الثاني ٢٠٠٤).

وبعد، فتلك دراسة حاولت أن تستجلي ملامح المفكر "الأديب" في أعمال أحمد صدقي الدجاني، من خلال دراسة الأعمال الأدبية المُستقلة ضمن إنتاجه الفكري العام، وما جاء من تلك الأعمال مُضمناً مع غيره من المؤلفات. فالدجاني يحمل – كما يتضح من مؤلفاته – مواصفات الأديب الذي يُجَيِّر الأدب لصالح قضايا المُواطن العامة، ويربطه بدوره الأساسي المُلتزم بإشكاليات المُجتمع المُعاصر. وإنتاجه الأدبي وإن كان جزءاً يسيراً من إنتاجه الثقافي الفكري العام، إلا أنه يحمل صفاتٍ وملامح خاصة تجعل منه أدباً رفيعاً في كثيرٍ من تمثلاته، وخاصاً في اختياراته العامة على مُستويات الفكرة التي ولّدت العمل كما في لقاء الكهل بالشاب الذي كانه، ورسائل أولاده، أو على مستوى المضمون الذي قُدِّم بقالب أدبي يحقق شروط الإبداع الفني. وخلاصة القول: إن الدجاني الذي أنتج أشكالاً أدبية ثلاثة هي: المسرحية، وأدب السيرة الذاتية، وأدب الرسائل، علاوة على النقد الأدبي والفني السينمائي استطاع أن يدخل عالم الأدباء، وإن لم يكن يسعى إلى ذلك؛ إذ قدَّم الأعمال التي خضعت للدراسة هنا على سبيل استثمار الأدبي والممتع في سياق السياسي الفكري والثقافي العام المسكون بالهم القومي والحضاري والوطني لأمته.

المصادر والمراجع

- أبو كف، أحمد. (أكتوبر ١٩٧٢). "كتاب جديد". مجلة المصور. (٢٥٠٤). ص ٣٩.
- الدجاني، أحمد صدقي. (١٩٩٣). مسرحية هذه الليلة الطويلة. ط٢. مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر. القاهرة.
- الدجاني. (١٩٧٩). رحلات ولحظات ممتدة. ط١. دار الطيف للمطبوعات. القاهرة.
- الدجاني. (١٩٩٩). لقاء الكهل بالشاب الذي كانه. ط١. مركز يافا للدراسات والأبحاث. القاهرة.
- الدجاني. (٢٠٠٣). زلزلة في العولمة وسعي نحو العالمية. ط١. دار المستقبل العربي. القاهرة.
- الدجاني. (٢٠٠٠). عرب ومسلمون وعولمة. ط١. دار المستقبل العربي. القاهرة.
- الدجاني. (١٩٩٤). عمران لا طغيان. ط١. دار المستقبل العربي.القاهرة.
- الدجاني، أحمد صدقي. (٢٠٠١) مجلة فكر وإبداع. الجزء ١١. القاهرة. ٩٤-١٠٦.
- الدجاني، مزنة. (١٩٨٦). قراءة منهجية في مسرحية الدجاني. مقدمة مسرحية هذه الليلة الطويلة. ط ٢. مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر. القاهرة.
- الدجاني، مهدي. صدقي، أحمد. (٢٠٠٠). بُني الحبيب سلام. من رسائل والدي إلي في مرحلة التفتح. حقوق النشر محفوظة للمؤلف. القاهرة.

- الدجاني، مهدي. صدقي، أحمد. (ديسمبر ٢٠٠٦)." تأملات في الرحلة الصدقية مع الفصحى والعربية". كلمة في ندوة حول المرحوم أحمد صدقي الدجاني في مؤسسة عبد الحميد شومان. عمان.
- العشري، أحمد. (١٩٨٥). المسرحية السياسية في الوطن العربي. دار المعارف. القاهرة.
- القلماوي، سهير. (١٩٥٣). فن الأدب – المحاكاة. مطبعة مصطفى البابي الحلبي. القاهرة.
- لجنة الحفاظ على تراث أحمد صدقي الدجاني.(٢٠٠٤) حبيبنا ... سلام. في رثاء أحمد صدقي الدجاني "أبي الطيب". مركز الحضارة العربية. القاهرة.
- الملاح، ياسر. (١٩٧٧). "الحياة المسرحية في فلسطين". مجلة المسرح. القدس.
- وحيد،علاء الدين. "مسرحية فلسطينية". مجلة الكواكب ص ٤٤ . عن مقدمة المسرحية. ط٢.
- لقاء خاص مع السيدة سنا الدجاني أرملة أحمد صدقي الدجاني في ٢٠٠٩/٨/٢٧ في عمان.
- www.arabthinker.org.